قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (لسانيات عربية) سنة ثالثة، تخصص: لسانيات عامة

إعداد الأستاذة: هندة كبوسي

المحاضرة رقم: 08

يوم: 2021/01/27

عنـــوان المحاضرة: لسانيات التراث

1-لسانيات التراث:

تتخذ لسانيات التراث اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعا لدراساتها المتنوعة، ويعتمد أصحاب هذه الكتابة ما يعرف بمنهج إعادة القراءة، ومن غايات لسانيات التراث وأهدافها تأويل التصوّرات اللغوية العربية القديمة من منظور البحث اللساني الحديث، والتوفيق بين التصورات اللغوية القديمة والنظريات اللسانية الحديثة، ومن ثمة إخراج التراث في حالة جديدة تبيّن قيمته التاريخية والحضارية بالتأكيد على احتوائه للمضامين اللسانية الجديدة.

إن الهدف هنا هو الكشف عن بعض القضايا النظرية والمنهجية العامة التي تثيرها لسانيات التراث، والكشف عن النتائج المترتبة عن ذلك، فالقراءة في هذا النمط من اللسانيات تطرح إشكالات كثيرة منها جملة من القضايا الفكرية تبقى أهمها إشكالية "هوية" التراث اللغوي وعلاقته بالنظريات اللسانية وتنوعها، فـ "إذا تناولنا مثلا المستوى النحوي لهذا التراث

اللغوي، فإننا نعرف أنه بشكل منظومة مرجعية خاصة بالثقافة العربية الإسلامية القديمة. إنه نسق فكري وضع في فترة تاريخية محددة نتيجة عوامل معينة، وقام على أسس فكرية معينة باعتباره جزءا من بنية ثقافية عامة هي الثقافة العربية بمختلف مكوناتها الحضارية (فكرية واجتماعية ودينية وسياسية) غير أن تعدد القراءات يفقد التراث اللغوي العربي خصوصيته الحضارية، وذلك عندما تجعله قابلا لأن يصاغ حاضرا ومستقبلا في أي نظرية لسانية ممكنة اليوم وغدا. ما تنتهي إليه القراءة أنه كلما ظهرت نظرية لسانية جديدة فإن النحو العربي يكون قادرا على احتوائها.

فهل من المعقول أن يكون النحو العربي بنيويا ووظيفيا في أسسه النظرية والمنهجية؟ إذ هذا غير ممكن إطلاقا وكل توجه من هذا القبيل يوقعنا في مفارقة منهجية ومغالطة ابستمولوجية. إن ما يكون بنيويا تصنيفيا لا يمكنه في الوقت ذاته توليديا تحويليا نظرا لاختلاف الأسس النظرية والمنهجية بين التصورين.

وبالتالي تكون هذه القراءات عبارة عن إسقاطات ظرفية تسيء إلى التراث اللغوي العربي أكثر مما تخدمه حينما ترده إلى نسق شمولي مطلق بدلا من اعتباره نسبيا مرتبطا بشروط تاريخية وعوامل فكرية وسياسية معينة.

لقد تجاوزت الكتب التي تؤرخ لعلم اللغة مرحلة التراث العربي لكن هل يمكن القول بأن لسانيات التراث من شأنها أن تعيد للتراث العربي مكانته بين هذه الدراسات وتعطيه بعده الحضاري؟

يرى غلفان أن هذا غير ممكن لأن القراءة لا تريد إثباتا للذات العربية الإسلامية فحسب، ولكنها تضع التراث اللغوي فوق اللسانيات نفسها وهذا غير ممكن على الأقل من الناحية الموضوعية نظرا لاختلاف الأسس النظرية والمنهجية بين التفكيرين.

والمتابعة الدقيقة للقراءة التي يقدمها لسانيو التراث تكشف عن "فهم عام لمضامين النظرية اللسانية وإدراك غير واضح لها بسبب تداولهم إياها تداولا حدسيا وتلقائيا متناسين في حالات عديدة مصادرها الفكرية والأسس النظرية والمنهجية التي تقوم عليها. إن ماتعتبره القراءة اللسانية مفاهيم بسيطة مثل مفهوم العامل، ومفهوم الحالة، ومفهوم البنية العميقة والبنية السطحية، ومفهوم التحويل، وغيرها من مفاهيم التوليدية هي في العمق غير ذلك. إن المفاهيم اللسانية الحديثة ترتبط في جوهرها بمبادئ منهجية على ..... كبير من التعقيد النظري باعتبارها جزءا من شبكة من الإشكالات المتداخلة.

إن القراءة في لسانيات التراث تهدف إلى البرهنة على صحة البحوث اللغوية العربية من خلال مقارنتها بالبحوث اللسانية، وهي مقارنة تقوم على التصويت الكلي للبحوث اللغوية، والبحوث اللسانية في الوقت نفسه وهو يتنافى في منظور الباحث مع مفهوم النظرية وشروطها إذ يجب أن تكون النظرية قابلة للإبطال أو على الأقل قابلة للتجاوز، في حين يكون ما تنادي به لسانيات التراث المتمثل في قابلية الفكر اللغوي العربي للقولبة والاندماج في مجموع النظريات اللسانية الحديثة أمرا مستحيلا فلا يمكن –على الأقل من الناحية النظرية– البرهنة على صحة النظريات، كل ما يمكن القيام به هو البرهنة على خطئها، وكل نظرية لا تقبل الإبطال والدحض هي ميتافيزيقا "إن الفرق بين العلم والميتافيزيقا هو الإبطال".

إن ما تقدمه لسانيات التراث يجعل أصالة التراث العربي مرتبطة أساسا بهذا الشكل من المقاربة. وهذا يعني أنه لا وجود للتراث اللغوي العربي ولا لأصالته إلا بالارتباط المباشر بالنظريات اللسانية الحديثة.

وبهذه الطريقة أصبحت اللسانيات العربية الحديثة مقياسا لتقويم أصالة التراث العربي القديم لكن الأصل أن "أصالة هذا الفكر مرتبطة بالإطار الحضاري العربي الإسلامي وبالشروط التاريخية التي وجهت التفكير اللغوي العربي في المسار الذي سار فيه بكل الملابسات والأبعاد المعروفة.

وبالتالي قراءة التراث العربي تكون بالرجوع بالنصوص القديمة إلى إطارها الذي قيلت فيه وليس بمطابقتها مع ما هو حديث وما هو عربي تحديدا.

إن القارئ في مجال التراث العربي ليس إلاّ شارحا وفيلولوجيا، إنه يحاول أن يضع الشروح المساعدة على فهم النصوص القديمة فيجد نفسه من أجل تقريب فكر قديم من معاصريه (...) يلجأ إلى استعمال ألفاظ وتعابير حديثة.

وهكذا يأتي الشرح يختلط فيه القديم والحديث عبر ألفاظ لا يربط بينها سوى إرادة الشارح.

لذلك لن تفيدنا النتائج المتوصل إليها عن طريق المقارنة أو التشابه اللذين تقف عندهما لسانيات التراث نظرا لتباعد أهدافها وأهداف العمل اللساني الصرف. إن دراسة اللغة سانكرونيا يتعلق بدراسة قواعد اللغة العربية العامة وطرق اشتغالها والجهاز الواصف لهذه اللغة.

وبالتالي يجب على الكتابة اللسانية العربية الحديثة البحث عن الطرق الكفيلة بدراسة اللغة العربية وفق ما يقتضيه منطق الدراسة العلمية وما يقدمه من أدوات إجرائية.

وختاما يمكن القول بأن اللجوء إلى قراءة الفكر اللغوي العربي القديم يفرض أن نميز بين موقفين: موقف حضاري تكون فيه القراءة فعلا وسيلة ..... لذا التعرف على ذواتنا حضاريا وتسمح لنا بقرار خصوصياتنا أمام تحديات العصر المتجددة. وفي هذا الاتجاه تعتبر القراءة وسيلة ناجحة للتعريف بالتراث اللغوي العربي لا باعتباره جزءا من تاريخ الفكر العربي فحسب وإنما باعتباره أيضا محطة تاريخية في مسار الفكر اللغوي الإنساني لا يمكن تجاهلها.

موقف علمي: حيث ينبغي أن ينظر التراث على أنه إنتاج معرفي محدد بإطار تاريخي وثقافي يوضح مصادره الفكرية ويرسم الخطوات والمراحل التي اتبعها لتحقيق جملة من الأهداف الفكرية والاجتماعية والسياسية يقتضي منا أن ننظر للتراث اللغوي العربي باعتباره نتاج مرحلة من مراحل الفكر الإنساني التي تفاعلت مع مراحل أخرى.

وعليه وجب التفريق بين طبيعة العمل اللساني باعتباره ممارسة وبين البحث اللغوي بصفته إسهاما حضاريا.

قائمة المراجع:

-مصطفى غلفان، اللسانيات العربية -أسئلة المنهج-.

-مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية.

-فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث.

-صورية جعبوب، قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر (أطروحة دكتوراه علوم)، جامعة سطيف،الجزائر،2012.